رابط المادة على منصة باحث

تدبرات وتأملات

تدبر المفصل - د. عبد الله بن منصور الغفيلي)سورة الممتحنة(.

عبدالله الغفيلي

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين الصلاة والسلام على نبينا محمد عليه وعلى اله افضل الصلوات وازكى التسليم ما بعد فاسأل الله جل وعلا ان يتقبل منا ومنكم - 00:00:06

وان يعيننا على هذه الليالي المباركات ليالي العشر وان يجعلنا ممن قامها ايمانا واحتسابا وقام ليلة القدر ايمانا واحتسابا انه ولي ذلك والقادر عليه واما بعد فاستمرارا لما كان الحديث حوله من الوقوف مع سور المفصل - 00:00:19

كنا قد وقفنا على سورة عظيمة وهي سورة الممتحنة او الممتحنة. والمراد بها المراد بالامتحان هنا الاختبار كما سيأتي في قصة المؤمنات اه في هذه الاية او هذه السورة وهذه السورة - 00:00:39

سورة الممتحنة هي من السور المدنية وهي تركز على العقيدة والكلام حول مفهوم الولاء والبراء وترسيخ هذه القيمة الشرعية او المبدأ الشرعي العظيم وهي قد ركزت على هذا المبدأ مع كونها سورة مدنية لتؤكد وتبين ان العقيدة والولاء والبراءة ليس - 00:00:59

مختصا بحالة تأسيس المجتمع المسلم فقط. بل هو ممتد بعد ذلك يتواكب مع بناء هذا المجتمع ومع ثباته واستقراره ليؤكد ان العناية بالعقيدة والحديث عنها ودعوة الناس اليها وملئ القلوب بها وتربية - 00:01:30

المشي عليها هو منهج قرآني يجب ان يكون في جميع الاحوال. افتتحت السورة بقوله تعالى وهي الوقفة الاولى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة - 00:01:50

وفيها خطاب الله جل وعلا لعباده بوصف الايمان اثارة لهذا الوصف وحثا عليهم بان يلتزموا ويستمسكوا ما جاء فيه. ثم في قوله عدوي وعدوكم اولياء اشارة الى ان من عادى المؤمنين لايمانهم - 00:02:08

فهو عدو لله سبحانه وتعالى كما قال فان الله عدو للكافرين. وقوله تلقون بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم الاية فيها اشارة الى ان سبب معاداة الكفار والبراء منهم وموالاة المؤمنين انما هو - 00:02:28

ما كان من الكافرين من بغضهم للايمان بالله وايذائهم للمؤمنين. ولذلك قال اه ان اياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي وفيه ايضا التأكيد - 00:02:58

على ان اخلاصا لله يقتضي البراءة من الكافرين وموالاة المؤمنين ثم يختم الله جل وعلى هذه الاية بقوله تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم. ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل. وفيه عتاب من الله جل - 00:03:18

جل وعلا للمؤمنين وهذا العتاب كان سببه قصة حاطب ابن ابي بلتعة لما علم ان النبي صلى الله عليه وسلم سيغزو المشركين فارسل مع احدى النساء رسالة او كتابا يفيد او يبين فيه عزم النبي صلى الله - 00:03:45

الله عليه وسلم وكان قد اراد بذلك امرا لما استفصل النبي صلى الله عليه وسلم منه ما الذي حملك على هذا؟ فقد نزل الوحي مبينا ما فعل حاطب وخطأه العظيم كما في هذه الايات فقال لا تعجل علي - 00:04:05

يا رسول الله فما فعلته فما فعلته بغضا في الدين ولا كفرا بالله ولا رضا بالكفر واهله كما قال ما فعلته رضا بالكفر واهله وانما كانت او اردت بذلك يدا عندهم - 00:04:23

وانما اراد من ذلك ان يحمو قرابته قال فلم افعله ارتدادا عن ديني. فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد صدقكم وفي رواية لا تقولوا فيه الا الا خير في هذه القصة عبر وقد اسر لهذا - 00:04:43

بالكافرين فنزل الخطاب عتابا له على فعله فكيف بحال من يعلنون مودة ويظاهرونهم على المؤمنين. وانتم تسمعون للاسف من بعض الاقوام في مثل هذه الايام مع ما ينزل باهلنا في غزة - 00:05:03
من مصاب عظيم وقوفهم مع الكافرين وبغضهم للمؤمنين وآآ تنكرهم في اه مبدأ الولاء والبراء وتحججهم بان ثم احزابا او جماعات ضلت وفعلت وتركت ولك انهم بهذا يعدون بعض المسلمين الذين يعتقدون بخطئهم اشد ظلالا من اليهود - 00:05:24
المعتدين والله يقول لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا لكنه الهوى نسأل الله السلامة والعافية. وقد لا ينفك عن جهل فيقع المسلم في مثل هذا. ولذلك المؤمن من ان يكون مع اولئك الكافرين او المعتدين ضد المؤمنين ايا كان - 00:05:54
الاسباب والمبررات فلا قيمة لها والله يقول ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكون لكم واعداء ويبسط اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ان يقدروا عليكم كما يفعل اليهود الان مع اخواننا في الشام واضرابهم ايضا - 00:06:22
من الباطنية الكافرين في كما يفعل اليهود في فلسطين واولئك في الشام ان يثقفوكم يكون لكم اعداء لما تمكنوا ويبسط اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء والقتل والتعذيب التهجير وزيادة على ذلك وهو اعظم من ذلك - 00:06:42
لو تكفرون. فهمهم من ذلك كله ليس الدنيا كما يظن البعض. وليس مطامع هذه الحياة فهذا قدر يكون من الهموم او الاهداف لكن الهم الاعظم من عداوة الكافرين للمؤمنين وودوا لو تكفروا - 00:07:02
ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر. هذه الايات التي تبين فعلا تبين فعلا حقيقة العلاقة. والعداوة بين المؤمنين والكافرين وان حاول البعض - 00:07:21
ان يشوه هذا المعنى القرآني الشرعي او ان يلبس فيه او عليه ولذلك كانت الايات واظحة في بيان هذا الموقف العظيم ومع ذلك وفي قصة حاطب بن ابي بلتعة لما كانت صورة عمله - 00:07:41
عظيمة قال رضي الله تعالى عنه عمر دعني اظرب عنق هذا المنافق الامر عظيم مع انه اسر بالمودة ومع انه بين سببه ومع انه لم يكن يقصد من وراء ذلك بغظ الاسلام واهله - 00:08:01
ومع ذلك فهم منه عمر وهو ما يسمى اليوم عندنا في القانون ان صحت هذه يعني العبارة الخيانة العظمى وهو ما يستحق عليه الان في القوانين الارضية بالاعدام. وهذا لو كان ممن فعلا اراد بذلك - 00:08:19
المسلمين والتجسس عليهم والحاق الاذى بهم هذا فعلا يستحق صاحبه مثل هذه العقوبة العظيمة لكن لما علم النبي صلى الله عليه وسلم صدق هذا الصحابي وانه وان اتى بصورة هذا الفعل الشنيع الا ان في قلبه من الايمان ما فيه - 00:08:39
قال انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وفيه عدل النبي صلى الله عليه وسلم ورحمته وتعجله قارن بين هذا الموقف من القائد الملهم عليه الصلاة والسلام - 00:08:59
الامام الاعظم وبين موقف للاسف بعض السفهاء الاغرار الذين يكفرون المسلمين ويستبيحون دماءهم واموالهم لمجرد شبهات شبهات او مسائل خلافيات وهم من اقل الناس علما ومع ذلك يتجرأون فيكفرون ويقتلون - 00:09:19
ويسفكون الدماء المسلمة بل يعدون سفك دماء هؤلاء الذين اخطأوا مثل تلك الاخطاء التي يعتقدون كفرها وهم من ابعد الناس عن معرفة الحكم فضلا عن تنزيله قارن بين حالهم وبين حال محمد عليه الصلاة والسلام وهو اعلم الناس بالحلال والحرام واعدلهم - 00:09:39
وكيف اثبت لهذا الصحابي مكانه وفضله بل نهى الناس عن ان يقولوا فيه الا الا خيرا. وهذه القضية الحقيقة من القضايا المهمة الكبرى وهي آآ تشير الى آآ ما عليه هذا الدين من الرحمة المهداة فهو ليس دين القتل ولا التعذيب ولا المعاداة بقدر ما هو دين - 00:10:03
اه سماوي يتسع لكل من امن بالله واليوم الاخر ولذلك بين الله جل وعلا بعدها اه آآ ما يمكن ان يؤكد هذا فقال عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة. فمع كوني هؤلاء - 00:10:33
الكفار قد حكم الاسلام بمعاداتهم والبراء منهم الا ان الاسلام آآ يرجو ان يؤمنوا بالله فتعود المودة التي ثبتت بحكم الله لهم كما انها انتقضت لما ابتعدوا عن دين الله وعدو. ثم هنا تقرر قاعدة عظيمة وهذه - 00:10:53

القاعدة هي قاعدة شرعية تبين ان العلاقة بين الناس انما هي العلاقة التي تحكم آآ الشريعة وذلك في قوله لن تنفعكم ارحامكم. ولا اولى ولن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم - 00:11:13

يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير وهذا فيه الاشارة الى ان العلاقة العظمى التي ينبغي ان تكون هي المعيار هي علاقة الايمان بالله وليست علاقة الحياة الدنيا وما يشتمل عليها وهي - 00:11:33

العلاقة التي ينبغي دائما ان يراعيها المؤمن وان يجعلها المعيار الذي يكون نصب عينيه في التعامل بين الناس ولذلك قال تعالى في قصة نوح مع ابنه انه ليس من اهلك مع انه من صلب نبي انه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك - 00:11:53

به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين لا مجاملة في القواعد الشرعية لا مجاملة في العلاقة الايمانية لابد ان يعلم الناس فعلا الحقيقة التي يجتمعون عليها يفترقون وقد جاء هذا ايضا في سورة المجادلة كما عرظ لها ايظا - 00:12:15

زياد لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابنائهم او اخوانهم او ازواجهم او عشيرتهم وهذه هي آآ خلاصة الايمان ان تكون العلاقة قائمة على الحب في الله والبغض في الله. ثم بعد - 00:12:35

تقرر هذه السورة قضية يعني مهمة وقفة اساسية فيها وهي ابراز القدوة واثرها والقدوة وهنا تم التركيز فيها على ما يتعلق بموضوع السورة ومفهوم الولاء والبراء والعلاقة بين المؤمنين. والكافرين وهي العقيدة - 00:12:55

التي اه كانت السورة تركز عليها قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله وهذا المفهوم الشرعي وهو مفهوم البراء كما قلنا الذي غاب او يكاد - 00:13:15

يغيب في حياة كثير من الناس كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة هو البغضاء. ابدا حتى وهذه هي الغاية التي تزول معها العداوة والبغضاء ويعود فيها الحب والعلاقة الشرعية حتى تؤمنوا بالله وحده - 00:13:32

وتأمل معي دقة القرآن والمنهج الشرعي وانه لما قرر القدوة وكانت تلك القدوة هي ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان هناك استثناء. لانه كما ذكرنا لا مجاملة حتى مع الانبياء. فابراهيم عليه السلام الصلاة والسلام في - 00:13:50

علاقته مع ابيه وقد كان ابوه كافرا كان قد تبرأ منه الا انه وعده ان يدعو له فيستغفر وقال الله جل وعلا الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فلا تقتدو فيه في هذه فلا يستغفر - 00:14:11

المؤمن للكافر ولو كان ابا له ولو وقع ذلك من ابراهيم وهو ابو الانبياء ومن اولي العزم من فانه اه كان اه اه خطأ منه او لما كما قال تعالى فبين ذلك فلما تبين له - 00:14:36

انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حليم فيه الاشارة الى ان استغفار ابراهيم كما قال تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه. وذلك هو الذي دفعه لمثل هذا فاستثنى القرآن هذه - 00:14:56

المسألة حتى لا يقتدى بابراهيم فيها وفيه الاشارة الى ان النبي صلى الله عليه وسلم هو اكمل الانبياء. ولذلك لم يستثني في الاقتداء به كما قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة - 00:15:16

وهذا قد استثني في حق إبراهيم في مثل هذه المسألة ثم كان الاقتداء ايضا بابراهيم في موقفه العظيم في قوله ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير فابراهيم والذين معه كانوا يدعون الله اه جل وعلا ويتوكلون عليه وينيبون. وهنا وقفة مهمة جدا اه اه - 00:15:32

آآ قبل ان اختم وهي ان آآ ابراهيم عليه الصلاة والسلام على ما اتاه الله جل وعلا من النبوة والعزم والايمان كان متوكلا على ربه منيبا اليه. ويراد بالتوكل الاستعانة فهو لم يعمل - 00:16:00

على قوته التي وهبه الله جل وعلا اياها ولا على ايمانه. بل كان متوكلا واثقا بالله مفوضا امره له متبرئا من حوله وقوته وهو بهذه المكانة العظيمة ثم ايظا هو منيب - 00:16:20

واليك ان ابناء فيه الاشارة الى كما قال ابن القيم ان الدين نصفان انابة واستعانة. فاما الانابة فهي العبادة واما الاستعانة فهي التوكل وذلك قوله تعالى اياك نعبد اياك نستعين فمن توكل على الله جل وعلا في عبادته اعانه الله - 00:16:36

وقواه وهنا اشير يا ايها الاخوة الى ان البعض يظن ان التوكل انما هو في امور الدنيا والحق ان التوكل في امور الدين اعظم فتت توكل على الله في صلاتك في صيامك في ذكرك ونحن في ايام وليالي مباركات فابرأ من حولك وقوتك اجعل ثقتك واعتمادك - 00:17:03

وتفويض امرك الى الله ان يعينك وسيعينك الله ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي معاذ ويقول اني احبك لا تدعن دبر كل صلاة ان اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. مع انه لما يزل بعده في مصلاه فهو احوج ما يكون ان - 00:17:23

يستعين بربه وان يتوكل عليه ويعتمد. وهذا هو حال ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومن قبله نبينا. ولذلك كما قال ابن عباس حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القي في النار فكانت بردا وسلاما كما قال تعالى وقالها نبينا صلى الله عليه وسلم حين قيل له - 00:17:43

ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. فما الذي جرى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم. وهذه الاية فيها من الوقفات ما فيها ومن ذلك - 00:18:03

قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بانتصارهم علينا فيظنوا انهم على الحق. او بتعذيبهم لنا وهزيمتهم فيقع في نفوس المؤمنين - 00:18:23

ما يفتنهم عن دينهم او بغير ذلك من الوان الفتنة ومنها هذا التفرق الحاصل بين المسلمين حتى ظن بعض الكافرين ان هذا الدين ليس حق بسبب بعض المؤمنين آآ خلافاتهم وتصرفاتهم وهذه الصورة الحقيقة ملأى واختم بموقف هذه - 00:18:43

والله العظيم من المرأة حيث حفظ لها حقها حتى في صلح الحديبية الذي كان فيه المهاجر الى المسلمين من عهودهم ان يعاد الى الكافرين فنزلت السورة لتستثني حال المؤمنين والمؤمنات ولتبين ان حالهن مختلف عن ذلك فقال - 00:19:05

قالت لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهم لا ترجعهن الى الكفار بل استبقوهن امتحنتموهن وتبين لكم صدقهن ثم بينت السورة ايضا في موقف اخر يبين الحفاظ على المرأة واعطائها حقوقها لكما يزعم الشرق او - 00:19:25

الغرب وان مبايعة المرأة تقوم على توحيد الله سبحانه وتعالى وعلى حفظ المال وحفظ الفرج وحفظ النفس وفي هذا الصيانة للمرأة واعطاءها فعلا الظمانة الاجتماعية الشرعية للحياة آآ الاسلامية التي - 00:19:45

لا يمكن ان تجدها الا في ظل هذا الاسلام ومن ما يمكن ان اختم به بعد هذا الختام ان اقول ان هذه السورة اكدت على عدل الاسلام. فالله جل وعلا بين ان نهي - 00:20:05

المسلمين عن موالاة الكافرين لا يشمل العلاقة التي تقوم على العدل والاحسان اليهم لمن لم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم بل بين الله جل وعلا ان هذا محبوب - 00:20:20

قل له ان الله يحب المقسطين والنهي انما كان عن المقاتلين المعتدين وقد امر الله بالعدل في مواضع كثيرة وهذا الدين دين العدل الذي لا يمكن ان ترى فيه مثل هذا المعنى الا في الاسلام نسأل الله جل وعلا ان نكون من اهل العدل المقسطين وصلى الله وسلم على نبينا محمد - 00:20:40